Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لسبق التخيل إلى ذهنه أنه ثعبان لا حبل فينفر بالطبع – تبعاً للوهم والخيال ، وكذلك الأمر يصدق على ظاهرة الأسماء والمسميات .

ويحاول الغزالى إثبات أن للطبع نفوراً وقبـــولاً أثر تأثيراً كبير فى العقائد ، والعقل لا يستطيع أن يسيطر على ذلك ، ويصدق ذلك على العوام سواء كانوا أنصاراً – أشعرية – أو خصوماً – المعتزلة . .

فالعوام **أضافوا إلى تقليد المذهب تقليد الدليل** ، فهم فى نظرهم لا يطلبون الحق ، بل يطلبون طريق الحيلة فى نصرة ما أعتقدوه حقاً ، بالسماع والتقليد . . ويقدم الغزالى مبحثاً نفسياً بحتاً فى عدم صدق الحكم العقلى على الحسن والقبيح ، وأن التربية والطبع والغرائز الإنسانية والميول والعقائد السابقة فى تاريخ الإنسان الشخصى حاكم على الأشياء ومفسد لحقيقة الاختيار العقلى بين الأشياء وهذا يصدق على الكثرة : "أما اتباع العقل الصرف فلا يقوى عليه إلا أولياء الله ،تعالى ، الذين أراهم الله الحق حقاً ، وقواهم على اتباعه[1]! "

ونحن هنا لا ندرى نصدق من؟!. . الغزالى الأشعرى ، أم الغزالى المعتزلى؟!. . وهو هنا يضع حكماً أو قاعدة يجرى عليها الأغلبية ولا يضع اعتباراً للشاذ ، وفى المسألة السابقة ، أسقط اعتبار الحكم المطرد لوجود الشاذ فى المسألة !

ثم هو يرد على أن الحسن والقبيح لا يحكمهما الغرض مطلقاً ، وأنه يجوز لغير المسلم أو غير المعتقد فعل ما هو حسن لمجرد كونه حسن فى ذاته ، وعدم وجود سبب عرضى فى المسألة ، كمن يسقى كلباً فى فلاة ؛ لأنه رآه أشرف على الهلاك ، فقضى عقله بحسن فعله وقبح تركه للهلاك .

يرد الغزالى مثل هذه الصورة بأنه يرجع لرقة فى طبع الإنسان ، وهو طبع فيه لا ينفك عنه . . فقد جبل الإنسان وفطر على الرقة والرحمة بالضعيف وإغاثة الملهوف ، وإطعام الجائع وتقديم العون لمن يطلبه ونصرة الضعيف ، ويقول إن الأمر لا يخلو من رغبة الإنسان فى الثناء لحسن فعله [2] .

---

(١) الغزالى : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) انظر الغزالى : الاقتصاد ؛ ص ١٤٥ .